

# رويداً باتجاه الأرض



إبراهيم زولي



ديوان رويدا باتجاه الأرض للشاعر إبراهيم زولي.

لوحة الغلاف للفنان حلمي التوني.

ط ١ مركز الحضارة العربية بالقاهرة سنة ١٩٩٦ م .

وط ٢ دار طوى، لندن مع منشورات الجمل ٢٠٠٩ م

وط ٣ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة إبداعات عربية ٢٠١٤ م

إهداء

أبي:

ماتزال الكتابة ساجدة  
تحت عرشك رغم الغياب.

أمي:

أت ذك ر  
وجهك العنبيّ  
الزعفران  
رائحة الزنجبيل  
والوجع الليليّ

إليكما رحمكما الله مع الصديقين والشهداء.

إبراهيم

## الرؤيا

ثم أدلفُ بوابة الغيبِ  
أُحصي النساء اللواتي  
حبلن بظلي  
وأرضعنه من نشيد القرى

....

....

ها أنا أرجم البحرَ  
والراغبات عن العشق  
- والأرض لؤلؤة -

....

....

يا أبي قد رأيت الكتابة  
شاخصة تحت عرشك  
والصحبُ حولك  
أبصارهم دونها رمحك الجاهلي  
- ليس وحدك من يعرف السرّ -  
قال الرفاق وهم يمرقون خفافاً على ساحل الروح  
فانفجرتُ غيمةً في شوارع قلبي  
سلامٌ على الصحو حين  
يفاجئه المطر المغتصبُ.  
أتحسّس وجهي

وضاحيةً باركتها المليحات  
أولى لكم شجراً واضحاً  
ثم أوقدنه حول عشب الروى  
طفن حول قميص أبينا  
وقلن له إنني وردّه المصطفى  
واسترحن إلى ظل دالية في الجسد  
صوتها واقف  
كنهارات صيف، وفي سقفا  
قمر من مسد.

....

....

خرجوا صبيةً من شعاب القصيدة  
وانطلقوا للقرى  
بعدما أفرغت ذكرياتك كل طيور المدينة  
وأنفض سامرها الدموي

....

....

سقطت زهرة في يدي فارتعدت  
وهلت دموع الصبا فاستعدت  
لأنني رأيت على مهل  
يصعد البحر  
للمشقة.

## عودة التتار

خلسة من نخيل العراق  
وفي غفوة الرافدين  
أتى توأم الغدر طائرُه الدمويّ  
فأشعل غليونه من حياءِ البُنَيَاتِ  
خاط ملابسه التتريّة  
من جسد الشعب  
والشعب في خدر البعث والنكث والسفك  
قال له وهو يوقد في عشب خاطره حطب الحرب:  
قم زوّج الإفك بالورد  
والدود بالنّد  
واطوِ الحرات في دمك المتفسّخ بالبرد.  
قلّ أيها التتريّ  
ألا أيها النازحون إلى بلد من حمام:  
ألم تبصروا للجهات  
ولم تبصر البوصلّة؟  
عدتِ الطائرات على جملة من عصافيره المطمئنّة،  
أقصت بنادقكم قامة السنبلّة.  
كيف عنّ لكم قصف داناته  
غيلة في العشّيّات،  
وَأد أطفاله،  
واعتقال نوارسه.  
دانة في الخليج إذا استعرت  
تستحيل إلى قبلة.

...

...

أيها البربري:  
أنشيدنا الحمر من قبل ما التمعت  
"إذا بلغ الرضيع لنا فطاما"

عَلِّمْتَ الْجَزِيرَةَ  
أَنْ يَحْفَظَ الْأَرْضَ وَالْعَرْضَ  
لَا أَنْ يَصَبَّ عَلَيَّ بَيْتَ جِيرَانِهِ  
نَارَهُ الدَّامِيَةَ.

ضمد ١٩٩٠ م

## الأجمل من هذا الموت

من ضلعي الأيسر  
يخرج طيرُ الحبِّ  
على فمه  
شرراً أبديّ  
يرسم في الأرض  
حدوداً  
لا يتجاوزها

نظرات الناس تلاحقه - الناس الأشرار -  
يمرق من طرقات الإسفلت  
المتمدد كالثعبان  
وينقرّ ذاكرة الوقت المتحجّر  
يكشفُ سوءتها  
ويعرّي هذا الرمل الطاعن في العقم  
الكلمات اعتمرت وجه الماء  
انتعلت سرّ النار  
العشاق تباركهم  
وتقبل فرسان الخيل الأبرار.

\* \* \*

طير الكلمات الدمويّ  
استشرى في جسدي  
ويقاسمني السهر الليليّ  
ينام مع الجوعى.  
الليلة غردت في شفتي  
فأتيت لكم  
بالموت  
الأجمل  
من هذا الموت.



## الصبيّ

الصبيّ الذي شاغَبَتْه

القصيدَة في أعذب العمر

وانتَبذت خافقيَه.

الرفاق يجيئونَه

آخر الليل

أعينهم لا تحبُّ سوى السهر المشتهى

يجدون الوسادة

والحبرَ

رائحةَ الشعر

لكنهم لا يجدون الرفيقُ

\* \* \*

الصبيُّ الذي شاغَبَتْه

القصيدَة في أعذب العمر

أسرَتْ به روحه للحريقُ.

## تجليات الفتى الأسمر

قُربَ تلك البيوت التي تُشبهُ الأصدقاءَ  
نزعْتُ قميصَ الطفولةِ  
فانكشفتُ قامتي

هل يعود الصغير الذي عابتهُ  
الفوانيس حتى يسرَّ إليها حديثاً  
فصاح بأعلى صباه .. وأغفى  
ولكنه أضرم الشعر بين سريرته  
فأتاه اليقين

ألم يكن الساحليُّ من الماء  
- والعابرون أتوا من قوافي الزبد -  
كيف سار الغزاة له

وهو محتشمٌ في الجسد  
إنه الآن منفرطٌ في الشوارعِ  
والدرب من حملاً لم يُسنُ  
غيبَ الدجو قامتهُ

ثم حنَّ إلى ظلِّه  
شدَّه الليلُ من حزنه فانتحب:

ما الذي تبتغيه المسافة من زنجبيل الكتابة؟  
هو العشق شاهده والطيور المحنَّاة بين نزيفِ الربابةِ.

فتى اسمرٌ تحت جذع النهار المراهقِ  
ملتحفٌ بالقصائد والروح نافرة من يديه  
يستعيرُ وجوه حبيباته من حقول رؤاهُ  
وينقش أسماءهن على جانبيه

بعدما أهرقَ الصحبُ زيت الجنونِ  
على شمعةٍ نصف موقدةٍ في منازل مُهجتهِ  
فاستوى شجر الحبر في كفه وارتوى

سيدي:  
قف جحيما على كَتفِي  
لم أعد أستطيع النواخ  
صاعدا نحوك الإثم يَلدغني  
هل أسير وحيداً يخضّب ما اقترفتُ ساعداك فمي ؟  
والمدارات حينئذٍ تتمثل لي عاشقاً ما اکتوى  
أَيكون الشقيّ الذي استنشق الزعفران على كاحليك أنا ؟  
فاكتسى بالعلوّ المباح .

## ﺧﺻﻮﺑﺔ

أنت من يستعيد ملامحه  
المَطَرِيَّة في زمن الجُدبِ  
يَسْتَرْسِلُ الخصب في جانيبه  
ألا تستطيع إذا نبتت رغبة  
أن تصبَّ طمأنينة  
الطهر بين الجسد؟

## مُساءلة

أمرُ أسائلُ الناسَ الذينَ على نواصِيهِمْ  
أرى شَجراً  
وأطفالاً لهم في الشمسِ إرثٌ ليس يَختلفونَ  
أسألُ في المدى قمرأً  
يَعلُمُ عاشقِيه الموتَ  
حين ينام أهلُ الحَيِّ  
عن رجلٍ:  
يجيء إذا النعاسُ أدارَ مِروده بعينِ الأهلِ  
في كَفِيهِ أسماءُ الأَخلاءِ  
البهاء يلفُ قامتهُ  
صَبِيّاً كنت إذ حملوهُ  
والكافور يَسْبِقُ خطوهمُ  
كانت فصاحةُ سمته القرويِّ  
تربكهم، وتكشف غيمَ أوجهِهم  
مشتٌ من بين أيديهم  
تحطُّ حروفها الحسنَى على شفتي  
هتفتُ بهم: - وسيف رجولتي الأولى يضيءُ بريقه جسدي -  
لمن يَتحدَّثُ الأطفالُ،  
تبزغ رِيشةُ الأنهارِ،  
أشجارُ المحبة هل ستزهرُ في صدورِ الناسِ  
كيف يجيء فجره حاسراً  
من ذا يُكَلِّله؟  
أجب يا صمتهم

يا موتهم

أويا ...

أعود أسائلُ الطرقاتِ،  
مدخلَ دارنا النيلِي،  
بيوتِ الحَيِّ،  
عن رجلٍ:

.....

....  
رويدا كان يُشرق ظلّه  
في البال  
ثم أقوله  
سرّاً.

١٩٩٢/٣/٣٠ م

## الأحرف الأولى في الفصل

أكتبُ الأشياءَ  
والمحماة حمقاء  
وكفى تتهجى الأحرف الأولى  
وأشكال الظهيرة  
تسأل القادم  
من قعر المسافات  
متى عاد له  
وجه العشيِّرة ؟  
تقتلُ الأسئلة البيضاء  
في حجرة الأستاذ  
والأطفال  
يحثون على وجهي غبار الكلمات

....

....

عطشٌ ينبتُ في الفصل  
يجزُّ الآن من حلقي اعترافي  
أه ما أبعدَ هذا الماء  
عن ريحانة الوقت، وعن فاتنة  
تحلمُ بالضوء الخرافي

....

....

حينها أزورت خيول النفي في صدري  
وساقتها عصافير الكتابة:  
أيها الباحث عن طقس السكينة  
شجر الخوف تنامي في قرى الروح  
وفي ظل المدينة  
فارتدت جمجمتي شامخة

سرّ سحابه

....

....

يُبصر الأوراق  
والأطفال  
والسبورة السوداء  
تخفيها المرايا  
وطباشير بلّيدة

وحده

كان

غريباً

في سموات القصيدة.

١٩٨٨/١١/٢٩ م



## الصوت

جاءني الصوت  
من جهة في السرير:  
أنت الذي شقّ سقف الغمامة  
فانفلقت نجمتين  
ومن علم الرمل  
أن يتباهى بسمرته ؟  
جاءني الموت  
واصطفق الباب

.....

.....

المحهم يلحقون دمي.

## قصيدة الحلم

في براري الكتابة  
أبصرته نافراً بين عشب الحروف  
- هو الفرس الحلم -  
أنشأه الشعراء  
على عرش الريح  
فانتشرت في الجهات ملامحه  
والمليحات ساومنه  
فأبى .. وتولى  
وحين تغيب  
ت  
غ  
ي  
ب  
الكتابة  
سائسه الفقراء  
يحنون أطرافه  
يحفرون له بالأظافر  
فوق جدار الفراغ حقولاً  
لها نكهة الجوع  
أو قمراً كارتعاش السيوف

\* \* \*

خاطبته البلاد علانية:

أرنا وجهك السرمدي  
فجأة  
البخور الذي في الجزيرة فاح  
وانجلى نجمه في فضاءات أرواحنا قيل  
قد طمسناها على غير  
ذات غيم  
جراح.

ضمم ١٤/٨/١٩٩٠م

## التهامي

قُلْ للتهامي يقرع الأبواب  
ميلاد البشارات أمحي  
البحر عريان  
وساحله لهب  
والغائبون عن الحقيقة  
قل لهم:

إن الحقيقة للتهامي  
في قرى تستمطر الأنواء  
في برج الظمأ  
فلم الغراب الآن يذرع أفقها  
- حلق بعيداً يا غراب -

إن الوجوه من التراب استحلقتها الشمس أن تبكي الرجال  
إذا الرماد تسلق القامات وافتض البلاد  
ويد النساء تخطن أثواب الحداد.  
- حلق بعيداً يا غراب -

عن بيدر الوقت الجنوبي  
والنهارات الفقيرة  
وانحناءات البيوت

....

....

بيني وبين الماء وادٍ باتساع الخوف  
في وجه التهامي - والطريق تشيطنت -

فتسمّر القروي  
واجترخ النشيد:

"إن تتهمي فتهامة وطني"

أو تحتويني

فالردي

وعدي

- حلق بعيداً يا غراب -

....

....

النملُ دبّ على شفاه الغيم  
والإعصار نارٌ حاميةٌ  
تكوي عروق الشمس والطفل المسجّى عند أسوار المدينةِ  
والرعاة  
يسائلون البهم  
عن عام الحصاد،  
وعن تفاصيل الأكفّ الداميةِ  
والأتل  
مدّ سلالماً  
كي يعرج الفلاح  
يسْتَقْرِي كتاب النار  
والزمن الخصب  
يُعيد ترتيب الجهاتِ  
على خرائط وجهه القمحيّ  
والغربان  
تبذر بين خاصرة السنابل  
مفردات الموت والليل الأخير.

## السمر

والعصافير التي لم تكتس  
بالشجر الليلي  
قالت:  
القرى أضرحة  
والأفق ماء  
عندما تلتئم الأشياء في كفيك  
كن ذاكرة تنبت من قاع القصيدة  
كن لنا فاتحة الطرُق  
أعدّ للمدن الخضر  
الخلايل  
الفراشات  
التفاصيل التي ما اغتسلت بالبحر  
قبل البَدء  
هذا موسم في خطوه  
حلم البلاد  
علق الأسماء في عنقود قلبي  
واكفّ الريح ألقّت معطفاً  
من جسد الشمس عليه  
احتواه الضوء  
أحنى قامة الصحراء  
لكن !!  
بيننا يا امرأة في التيه  
هذا الساحل الممتدّ حتى وجعي  
الأسئلة السمر هنا ما اتحدتْ بالنور  
وما باح سوى الأطفال  
في الحيّ بها.  
حين كان المطر الأخضر يشتدّ  
يُحنّون الأناشيد

ويغشى الشارع الكحلي  
من فاكهة الغيم  
مصـابيح صغـيرة  
مَنْ هنا يخرج من لؤلؤة الوقت  
الظهيـرة؟  
هذه نجمة رؤياي امّحت من غيهم  
واستتـرت في لغة النسيان نجوى الأرض.  
هل تختلف الرؤيا  
على رمل  
الجزيرـة؟

## حالة

مدّ طيرُ القصيدة منقاره في بحيرة روي  
أطال

أ

ط

ا

ل

- على غير عادته -

لم أعد أستطيع

هتفتُ به أيُّها الـ . .

كان قد غاص حتى الوجع.



## رويداً باتجاه الأرض

نجمةٌ في ظلام المنازل  
قال الذين اهتدوا بعد ترتيل آياتها  
لم يكن مثلها بين كل الصبايا هنا  
وَقَفْتُ عند باب القصيدة  
أَلَقْتُ تحيتها  
راودتها البلاد على طُهرها  
فاحتمت بيــــــــــــدي  
والرجال يولّون قاماتهم شطرها

نجمة في القرى  
هزّها الليل حين استوى في الجزيرة  
فانتبذت جهة مُهمّــــــــــــلة.

فتيةٌ يسألونك:  
كيف يكون الطريق لنا  
والمدينة حافيةً دونما سُرج  
في صراط العشاء الطويل  
هل ترى بهتة الفجر  
حين يسير التلاميذ في فرح  
خطــــــــــــوة  
خطــــــــــــوة  
- والشوارع نائمة في الحقائق -  
يَتَلَوْنَ من نَبأ الليل نجمته  
حينما ظللت آخر الراحلين إلى سرر البحر

وانتصبتُ في دمي

طلّعتها المتطاوُلُ  
شقّ فضاء الظهيرة  
فاندلقتُ غيمةً  
في يديها التي مسّها شبق الأمكنة.

هذه نجمة

قيل ما قبّلت كفّ سيدها  
ينتمون إليها الرجال إذا يّمّموا للسّرى  
واصطفوها على الرأس صارية  
عندما خبأت سرها  
في مـروج الجنـوب

أينا سلّ سيف الطفولة واعتمر الأرض  
أسرى بها بعد ما نام سادتها  
حيث لا ينثني شجرٌ صامدٌ في القلوب

أحدُ قال لا

في وجوه العرائس  
ثم انتفضُ ؟

## انتظار

صبّ قامته في انتظار الرغيف  
ساعة  
ساعتين  
به شهوة للصراخ  
يشنت صمت الجموع الكثيف  
تذكر:  
أن القصيدة والخبز  
مختصمان.

## تكوين

من الموت  
حتى الولادة  
تُبقي القصيدة  
أشجارها في الموانئ  
ألوي لها عنق اللحظة القادمة.

## صورة

تمدّ سواعدها في الفضاء  
وأقدامها تتشجّر تحت التراب  
سيوف التقارير  
تشطرها  
وتجرّح وجه الطفولة فيها  
تسلّمها للنسور  
تنقرّ أعينها  
فيساقط الجسد القروي  
وأحلامها تتبعثر خلف مرايا الرعاة  
فيتلون في إثرها "الفاحة"

تفيق المليحة  
ذات نهار  
تفتش عن وجهها في عيون الصبايا  
اللواتي تناسلن من تعبٍ شبي  
تسائلُ عن ظلها

وطيور جنوبية  
تسكن القلب والشجر المستحيل.

تقول:

أعزني دمي،

أثراً للحبق،

أو بقية إرثي،

أحاديث أهلي.

أقول:

لهذي المليحة

السنة

من ورق.

## مطر

تظللُ تحت سماء اللغهُ  
فتساقطت الكلمات  
على شجر الذاكرة  
مطراً  
وشموساً صغيرة.

## الأخرون

دونما سببٍ  
خبأتني القرى عن بنيتها  
وما لمحت في قميص الحكايات  
من دمهم شارة  
أو رأيت في شفاه المزامير  
فأفأة من مياه أناشيدهم.  
قادمٌ باتجاه البيوت  
التي يعرف الكف أبوابها  
باتجاه العيون التي يُغرق القلب أسرارها  
ولكنها أنكرتني الشوارع يا أبتِ  
كم تحبّ الشوارع كنتِ  
التي لا تخون هواجس من يعبرون عليها  
وفي الفجر توقظها  
وتعدّ لها من ظلالك أجملها

لم تعد للرياح مواسمها  
- كانت الريح مختالة -  
وتجيبك وحدك دانية  
إيه .... يا أبتِ  
علقتك لياليك فوق مشنقة الذكريات  
تمرّ طيور المساءات  
تلقط من خبز رأسك أحسنه  
وتحط به بين مائدتي

كانت الساعة الآثمة  
حين دقّ الغزاة على الدار



واغتصَبُوا وردة من حدائق عينيه  
قَبَلْتُهَا، ثم سويتها وطناً في القوائد  
أهزوجة في شفاه البناتِ  
هلالاً على منكب الليلِ  
فأل سنبله في الخريفِ  
وأول تلويحة بالطريقِ  
مناقير البستها صوت أسماننا الحاسمةِ.  
قال لي:

سوف أرجع في صحوكم  
حين أضغات أحلامكم  
وأقص لكم ما تعسر من شررِ  
كنت أنفته من فمي  
لقناديل ناعسة بالشبابيكِ  
ما أعلنت لحظة  
أنهم قادمون هنا  
أنهم قادمون  
هنا  
إنهم  
قادمون لنا.

ضمّد ١٣/٨/١٩٩٠م

## بـرّاعة

بريءٌ أنا من دم المدن العربية  
من تُخمةِ الليل  
في عَرَصاتِ مطاراتها  
وبريءٌ من الأرض  
تلك التي استجمرتُ  
بالحجارة.

## الرماد

لم يعد للحقيقة شكلٌ يليقُ بها  
فاجأتني الأصابع  
دممةً في الضلوع  
انطفاءٌ فمي.  
لم يعد للمنازل وجهٌ  
يليقُ بها  
والرماد تسدّ جناحاه آفاقنا الماطرةً  
يشتهي طعن خاصرتي،  
واحتواء سريري،  
دمي،  
ساحة الدار.  
قال له موعدٌ في القرى  
يتها الكلمات التقيمن الرماد  
لئلاً يهبّ إلى الذاكرة.

## العصفورة

تسرّبت الضوء  
واقْتَعَدَتْ في أعالي الغناء  
لها شارعٌ مفردٌ  
والوجه صدى  
ورماديةٌ عندما تكتوي بالمدى  
وردةٌ للصبايا  
وريحانةٌ للقرى  
ولها شالها الذهبي الذي ما انثنى  
من غبار الجسد  
تقولين :

إيّاك ،  
إيّاك أن تقرب الشجرة ،  
تحتمي بصقيع البلاد ،  
وأن تتدثرَ بامرأةٍ مطفأةٍ .  
وأقولُ لعصفورة الروح :  
هزّي جذوع المدار  
تُساقط

أسئلة

مُبهمّة

أخرجي من جحيم الدوائر ،  
من شبق البرد  
فليحتويك اللهب °

توحّدتُ فيك

استحلتُ إلى غابة من ضياء،  
وأفردتُ جسمي،  
جدّلتُ هذا الصباح ضفائر للعابرين  
على جسد الماء منذ انتسب.

أنا فارس الفاتحين  
استبختُ حمى الشمس  
رتقتُ ثوب الظهيرة  
بالمطر الغائب / الحاضر . الحاضر / الغائب  
الآن، يورقُ في دفتر البيد  
موال عشق طفولي  
سماءٌ ... وأهلٌ .. وخيمةٌ  
عدتُ مهرة الروح  
فوق الفواصل  
والوجع الأزليّ  
وألقتُ على الناس  
من سرجها الخصب غيمةً  
تعلقتُ فيها، وقاسمتُها التعبَ الساحليّ  
المخاض،  
الولادة،  
سميتها باسم هذي  
البلاد المطر.

## الحجر البرتقالي

دخانٌ يشقُّ المدى  
ويمطر في الأفق ألف سؤال  
وترضع من ثديه الريح  
والشمس  
والأوجه النائرة.  
هو الحجر البرتقالي  
أتى متشفقة قدميه  
به لعنة الانتظار  
وتزهر في جانبيه  
ف ل س ط ي ن  
تلك التي هدّها الأهل  
والأحرف البالية  
لك المطر الأبيض المستحيل  
وكل نهـارٍ  
صباحاته عالية

كما شئت كن  
وتناسى بأننا هنا  
نغازل هذي النجيمات  
نكتب في ألق البدر شعرا  
وأحلامنا نتوسدها وننام

ن

ن

ا

م

تثاءب فيك الربيع  
فأشعلته موقدا  
فلسطين أنت وأنت  
إلى يوم يُحرق فيها العدا  
بك اليوم يا أنت  
والحجر البرتقالي  
نلمّ شتات القبيلة  
ننصبُ خيمتنا  
ونقومُ أحرفنا المتقوسة الفارغة  
فسلام عليك  
سلام عليك  
سلام عليك  
إلى أن تضىئ  
لنا الموعدا.

١٩٨٨/٦/٢ م

## النعش

مساءً مدّ قامته  
انتمى للطين  
في زنديه يكسرنى.  
هنا الأبواب تصلبُ رؤية الأشياء  
غصنُ الصوت أحنى رأسه  
لكنه ما ابتلّ.  
هل في الماء متسعٌ  
لأطفال القصيدة  
لا جناح على الرجال إذا استنوا في الخبت  
ذا سمرٌ ،  
وتلك صبيّةٌ جاؤوا  
على أسماها بدم القرى  
يا سيّد اللحظات مدّ لنا الظهيرة  
واسقنا نخب الحُداء  
الأهل ينقسمون حول الحقل  
في ساعاتهم رمد الغناء المرّ.  
تبتّ جمرة  
لا تقتعدُ حلق الكتابة  
والمدى  
شَرَكَ

إذا الأختام نزت من سواعدها سلاسل  
أفرّك الظلّ المراوغ  
ثم أبكي  
هل أنا لا أشبه الرفقاء



لا بل ..  
هل أقول؟؟  
هنا الخفافيش التي لم تَسْتَعِرْ أسماءها  
والقلب من ظمأ  
ينادم سيره الكلم الطهور ..

- فما ترى  
- الصحراء هاجعة على عيني لم تُفضض غشاوتها  
ترتل في حضور النعش  
بسملة الفصول الخضر  
فاندلعت حرائق قرية  
خلعت أساورها  
وألقتهما بصحن البيد بوصلة  
وأغفت في مفاصلنا.

## صاحبِي

صاحبِي دنا الليل  
هِيَا اسمرا قُرب روجي  
السراج الذي كان يفضحُنَا  
بلسان الشعاع انطفى  
واختفى سِرُنَا للأبد.  
أنتما سعف العين  
يا صاحبِي القرى  
اكسرا فرع قلبي ونوحا عليه  
ليس وحدكما في الفؤاد  
قفا كي نموت على ضفتِيه.

## ذَهْوِل

في الطريق إلى حِينَا المنزوي  
كنت مغتبطاً  
أستعيدُ وجوه الذين اکتوا  
من جحيم الكتابة، وانهزموا في العشياتِ  
لكنهم بغتةً  
يطلعون من البحر،  
من شجر الحمض،  
ألمحهم في سلال السمك.  
أول الشعر – يا زمناً للغواية قد غربا –  
كان صحراء من غزل للحبيبة

آخره وسوسة.

## انتماء

يحاصرني الماء  
في وطن الكلمات  
وفي قرية لم تُر  
في الخرائط.

## ثأر

تحلقت الشتلات  
على الأرصفة  
فدسّ الدراويش في جذرها  
فيلقأ من جراد.

## الكلمات

الرياحُ التي لا تهزُّ  
الأثاث القديم  
ولا تكنسُ الطرقاتُ  
لا تسمّى رياح

مثلما الكلمات.

## سيرة الأطفال الأخرى

و"حمادة" طفلٌ يشاغب جاره العاديّ  
يخفي نعلَه  
ويجدّ في تقليد مشيته  
على أسمائه يتوالد المكر،  
الوساويسُ ،  
الذبابُ،

الدودُ

يقلقه الشقيّ "حمادة"  
في الصبح يصعدُ فوق سطح الدارِ  
يُبصرُ أوجهاً في وجهه  
وأصابعاً ليست أصابعه  
وباح السرِّ للأطفالِ  
فاستبقوا إليه  
صاحوا به:  
يا أنتَ

إنّ يباسك الممتدّ معقود على الماءِ  
الصبيُّ يجرُّ قامته  
بنصل منك كنت سننته لحوقنا  
سنّوا ممراً للغناء،  
فناحت الأشجارُ وامتثلت لهم،  
سنّوا طريقَ الضوءِ  
فانتفضت عسافير الغلسِ

هل يرتقي أحدُ سلالمه،  
يُطلُّ على الشوارع ،  
كيف يخبو في الظهيرة فيئها،  
ويشُبُّ في جنّباتها الأطفالُ،

كيف يصوغُ أجملهم فواتح عاشقية.  
حتّام ينتزع القصيدة من عيوني  
طائرُ الكلمات ينفخُها، فتورق بين أجنحة الضحى  
هل أضرمَ الشعراءُ من جسدي مشاعلهم  
وساروا نحو تيه  
أقول حنجرتي الذي لا أشتهيه  
أقول حنجرتي  
الذي  
لا  
أشتهيه؟

السبت ١٩٩٠/٦/١



## هَجَسِ الْعَشِيِّ الْمَعْلَن

((إلى شقيقي محمد الذي يقاسمني الأسئلة الصعبة))

وحده كان يستقبلُ الغائبين  
أوان الهجوُع  
ذات حلم رأى ما رأى  
قالت الأم يا ...  
فبكى  
وجهها العنبيّ يلم قصائده  
جمرة جمرة  
ويجدّها فوق جدران جاراتها  
شجراً أخضراً.  
مرة غاب عن داره  
لفّ أغصانها كلُّ مكرِ القرى  
خرجت أمّه للسواحل مذعورة  
ولّت الطرقات إلى البحر  
واقتمت إرثه  
حينها زجرت طائراً فرّ من ضلع سيده  
فاقتفى قمح آثارها  
ومضت باتجاه السعير  
تخبّ  
تخبّ  
فأعلن في السرّ أن صباحاً أتى

...

...

أيها الشعر لا تبج الآن أسرارنا  
أيها القفر لا تفتح اليوم نافذة  
للظهيرة كيما تمرّ بأجسادنا  
إن روح المحبين ما ابتردت  
من جوى البـارحة  
والفضاء المزور ليس لنا  
وحنى رأسه  
مثلما الطفل تفضحه  
نجمـة

جـارحة  
بعدها عنّ للشجر المتوزّع في القلب  
أغنية من نشيج العصافير  
فأبتـهجت روحه  
بالبكاء الوقور:  
لقد جاءكم قبسٌ من دمي  
فانظروا ما الذي تفعلون  
تلك سيماء فوق نواصي الحميمين  
جاسوا بها الرمل  
غاروا على الرعب  
والفيء للأهل ...  
هل نختلفُ ؟

ضمـد ٢٠/٥/١٩٩٠م

